التأويل الهيدغري وقراءة لهولدرلين (الإصغاء إلى صوت الوجود)

فرفودة فاطمة

طالبة دكتوراه بشعبة الفلسفة ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد بن باديس ،مستغانم.الجزائر

يعتبر التأويل الهيدغري من الإنجازات الفلسفية التي استقام عليها حال الهرمنيوطيقا كمشروع أنطولوجي تجاوز المبتغى الهوسرلي القائم على ذوغمائية الذات وسلطتها وهنا "هيدغر" قد عمل على رد الاعتبار للوجود من منظور تأويلي الذي نظر إليه مهشما طوال هذه المدة، وأبت الذات المتعالية أن تحيزه عن فهم كينونة الوجود وحتى عن تقارب اللغة منه للكشف عن ما يكتنفه هذا الوجود ومن خلال هذا القول يستدعي أن نتساءل: كيف عمل هيدغر على تأويل الوجود؟

لقد عمل « "هيدغر" على رد الاعتبار للوجود من منظور تأويلي أي العودة إلى الأشياء في بدايتها الأولى بعدما أزاحته الذات بتعاليها، حقيقة وقللت من فاعلية ودوره في الكشف عن كينونته بعيدا عن أحكامه المسبقة وتحيزاتها وانتمائتها الإيديولوجية ... وهذه الإجراءات المنهجية كانت بمثابة الأساس الذي أخد بيد "هيدغر" ليبني صرح مشروعه الفينومينولوجي على ميل التجاوز والاختلاف، تتجلى إذا قراءة الرؤية الهيدغرية في تسليط الضوء على كينونة الوجود باعتباره ظاهرة موجودة يحتاج إلى أن يميط اللثام عن حضوره بدل أن يبقى أسير ذاتية متعالية ولذلك أعطى "هيدغر" المنهج الفينومينولوجي مفهوم الهرمنيوطيقا الأنطولوجية[1]» هنا نفهم أن "هيدغر" حاول أن يفهم الوجود متجاوزا بذلك صيغة أستاذه "هوسرل" وعليه « ينطلق "هيدغر" في بلورة معالم مشروعه الهرمنيوطيقي من نقده للميتافيزيقا ومفهومها للذاتية، التي تنظر للإنسان باعتباره محور الوجود، والعامل الوحيد الفاعل في المعرفة، ومن تم لا يصبح للوجود إلا دور ثانوي يخضع للذاتية ويستجيب لمقولاتها، ففي "الكينونة والزمان" عمل "هيدغر" بوحي من منهج أستاذه "هوسرل" الفينومينولوجي على تجاوز الذاتية الترانسندتالية من أجل بلوغ موضوعة تتموقع خارج ثنائية الذات والموضوع، وتتخذ من وقائعية الوجود نقطة مرجعية نهائية». [2]

ونجد "هيدغر" من هذا المنطلق يركز على فعالية الفهم الوجودي كنقطة تجلي الموجودات في العالم وباعتباره الفهم الطريقة الوحيدة التي يسير عليها التأويل لظهور الموجود لا غير وعليه « إن الذات ليست هي من يجلب الأشياء للعالم أو يخرجها من حالة الخفاء إلى صفة التجلي "بل إن العالم هو الذي يخلق السياق الذي به يتسنى المسبق مواجهة الموجود، إن هذا الفهم الوجودي المسبق للوجود هناك، هو الذي يسمح للإنسان أن يندمج وفقا لطبيعة ويسجل دخوله إلى العالم، يؤسس علاقات "فالفينومينولوجيا في مشروع "هيدغر" تترك الشيء يظهر ويكشف عن نفسه على أنه ذلك الشيء وليس غيره، لكن هذا لا يعني أن تنسحب الذات من حرب التأويل والفهم بل هي تصاحب الأشياء في رحلتها من التواري والتحجب إلى الكشف والظهور، أو قل تتعلم فن الإنصات وترك الأشياء تفصح عن حالها، إذ تكمن أصالة هذه الرؤية في الالتفات إلى الظواهر لا بوصفها أشياء متجلية، وإنما كونها متخفية وإنما في زي مخادع وزائف، أو لأنها زيحت فتوارت قهرا، وهنا يأتي دور الفعالية الهرمنيوطيقية كنشاط تأويلي يقوم به الكائن البشري في محاولة لفهم الوجود انطلاقا من فهم وجوده الخاص». [3]

ومن هنا نستشهد أن "هيدغر" أولى للذات مهمة الإنصات في عملية التأويل لفهم الوجود وجعله يتجلى شيئا فشيئا « ومن هذا المنطلق فالفهم عند "هيدغر" ليس شيئا يملكه الإنسان في بعض الظروف، الفهم هو نفسه وجود الإنسان في العالم، والفهم إذن هو الصورة الأصلية لوجود العالم في تجليه لنل وليس مقصورا على موقف معين»[4]، ومن خلال هذا نجد أن "هيدغر" يعتبر الفهم كخطوة من خطوات التأويل الكفيلة لفهم الوجود في العالم وتجليه لها.

وهنا « الفهم عند "هيدغر" ينبع من تجلي الأشياء وكشفها عن حالها في لحظة لقائنا بها وعملية الفهم لا يستقيم حالها إلا ضمن نظام علائقي... وإن الفهم يعدو انطلاقا من هذا التصور سمة أساسية لاكتمال مشروع الكائن الإنساني لتحقيق وجوده والانفتاح على الآخر، فالفهم إذا من هذا المنظور الانطولوجي سابق على كل فعل من أفعال الوجود أو قل به ينوجد الكائن، كما أن إصراره ورغبته في كشف المحجوب (الفهم القلق)». [5]

من هذا المنظور نجد أن وجود الكائن الإنساني واكتمال حقيقة وجوده مرتبطة بالفهم وليس بفهمه لذاته فقط بل كذلك لانفتاحه على العالم وعلى الآخر والتأويل من هذا القبيل مهمة أساسية لفهم الوجود والكشف عن المحجوب حتى يتجلى ويظهر ونجد السبب في إنكار "هيدغر" لفكرة "هوسرل" أنها لم تؤسس على وعي أنطولوجي يفهم الوجود وعليه فما « يعيبه "هيدغر" على فينومينولوجيا "هوسرل" هو عدم تأسيسها للذاتية المتعالية تأسيسا انطولوجيا، والسبيل الوحيد لتجاوز هذه المعضلة هو إحياء سؤال الوجود، إذن ماهية الوجود تقتضي تحديدها في إطار الزمان، وهذا ما جعل بنية الزمان تظهر على أنها تحديدا انطولوجيا للذاتية، إلا لأن "هيدغر" لا يتوقف عند هذا الحد، بل يذهب إلى القول بأن الوجود ذاته زمان، هذه النظرة لا تقوض فقط النزعة الذاتية للفلسفة الحديثة، وإنما تهدم الأفق الكلي للتساؤلات التي تثيرها الميتافيزيقا، والتي تحدد الوجود على أنه ما هو حاضر فقط».(6)

ونجد كذلك "هيدغر" لم يختص في دراسة للتأويل الوجودي فقط بل ربطه بمسالة أكثر عمقا ألا وهي اللغة وذلك أن مرحلة الفهم ليست بمعزل عن اللغة المكتوبة والمنطوقة.

إن« الكائن لا يفهم إلا في مجال التكلم باللغة، ومنه يبدو أن التأويل هو المرحلة اللغوية للفهم، لكن الفهم ليس باعتباره منهجا متولدا من فقه اللغة، وإنما باعتباره المحايثة الواعية للوجود قبل أن يتقيد بأطر الكتابة بالنصوص إذ "كل فهم للعلم يتضمن فهما للوجود والعكس" وإن "هيدغر" بمحاولته "فهم الكائن في العالم" مرورا باستحضار الوجود المتتاخم لحدود إنشاءات اللغة».(7)

وهنا "هيدغر" ينظر إلى الفهم بنظرة أخرى على غرار أن الفهم وحده يكشف عن الوجود المتحجب بل يضيف أن مهمة التأويل في الكشف عن المسكوت عنه كذلك تلجأ اللغة باعتبارها حاجة لا بد منها في عملية التأويل ونجد "هيدغر" في هذا المقام يولي الاهتمام باللغة كقاعدة تلفظ الوجود وعليه « يردد "هيدغر" دائما أن اللغة تنطق الوجود».(8)

وبما أن « اللغة هي مجال الفهم والتفسير، فالعالم يكشف نفسه للإنسان من خلال عمليات مستمرة من الفهم والتفسير، ليس معنى ذلك أن الإنسان يفهم اللغة، بل الأحرى القول يفهم من خلال اللغة، واللغة ليست وسيطا بين العالم والإنسان ولكنها ظهور العالم وانكشافه بعد أن كان متسترا، إن اللغة هي تجلي الوجودي للعالم، مثل هذه الظاهرية هرمنيوطيقية، بمعنى أنها تتضمن أن الفهم لا يقوم على أساس المقولات والوعي الإنسانيين، ولكنه ينبع من تجلي الشيء الذي نواجهه».(9)

ومن هنا الفهم الوجودي أو الإصغاء إلى الوجود لابد له لغة لفهم دائرية الوجود وعليه « التأويل الهيدغري هو الإصغاء إلى صوت الوجود وتحقيق الإصغاء الجيد "فالفهم طريقة في الوجود قبل أن يكون طريقة في المعرفة"، ومنه فالمعرفة تنطلق من الدوائر الشيئية التي ثم التأسيس لها وجوديا، وتعمل اللغة بعدئذ على حمل الكينونة إلى مستوى الخطاب من خلال ملتقى العلامة، حيث "أن العلامة لا تستحضر الشيء المشار إليه فقط بالمعنى الذي تعوضه" إنها هذا الشيء نفسه الذي نكونه، ومن خلال العلامة المجهزة بالإحالة الأداتية يتم إلحاق الفهم بمعنى الوجود، هذا الإلحاق يمر عبر اختزال الوجود من جهة من خلال القضاء على دواله ودمجه في لوغوس اللغة، ومن جهة أخرى يتم تدمير فكرة العلامة لسحب الفهم من وحدة الكلمة وكشفه للوجود الظاهرتي وهي مرحلة التأويل في اللغة».(10)

ومن خلال ما سبق نجد أن التأويل لابد أن ينوجد على ركيزتين لتحقيق الفهم وذلك من خلال الوجود واللغة وفي هذه الحالة يكون الفهم الهرمنيوطيقي متجلي وذلك بالكشف عن كينونة الوجود وهنا "هيدغر" قد حاول أن يبلور مشروعه الهرمنيوطيقي باستناده لمنهج الفينومينولوجي لكن يتجاوز الذاتية المتعالية وذلك باعتبار الوجود المرجع النهائي لكن هنا يستوجب أن نتساءل: لما صرح "هيدغر" بأن اللغة بيت الوجود؟ وماذا كان يحاول أن يبين من خلال هذه المقولة؟ ولما الوجود يستند إلى اللغة؟ وهل يمكن القول في هذا المقام أن الوجود يكتنفه التحجب ومن دونها لا يظهر؟ .

نجد "هيدغر" في العنصر السابق حاول أن يأول الوجود وذلك عن طريق الفهم ليفصح الوجود عن نفسه، لكن في هذا المقام نجد أن الوجود لا يرتد بدرجة الأولى للتأويل لكي ينكشف لأن هناك ما هو أكثر بعدا وبدونه لا يتمظهر لا الفهم ولا الوجود ألا وهي اللغة ولذلك يقول "هيدغر" بصريح العبارة "اللغة بيت الوجود" ومن خلال ما سبق نحاول أن نتساءل: ما مميزات الوجود؟ وهل لابد من اللغة ليتجلى الوجود؟

يقر "هيدغر" « الوجود إن ما هو أجلى وأشد ظهورا، أي ما هو أقرب مثالا يمثل ما هو في كل مرة موجود ... وقد قال "هيرقليطس" قبل "أفلاطون" و"أرسطو"، إن الوجود يعشق الخفاء والحجاب، ولكن ماذا كان يعني فعل عشق بالنسبة للإغريق؟ إنه يعني أن شيئين

موجودان في نفس الواحد وكل واحد منهما هو من الآخر وما يريدون أن يقوله "هيرقليطس" وأن الانحجاب والانسحاب لا ينفكان عن الوجود». [11]

يولي الفهم هنا أن "هيدغر" يريد أن يبرهن أن الوجود غير بياني والأمر هنا لا يتعلق بالإنصات أي السمع بل هنا يتعلق بإتباع الخطوات المتسلسلة واعتبارها كمأوى للإظهار الوجود باللغة كسبيل الاتصال بين الذوات الوجودية.

"هيدغر" « يعني باللغة وصلتها بالعالم بفهم العالم عناية شديدة، ذلك أنه رأى في اللغة إفصاحا عن فهم العالم، وإن الإنسان لا يسمع ويصغي ويسكت، وهذا يؤلف تركيبا أساسيا في وجوده، والإنسان لا يسمع لأن له أذنين لأنه من حيث وجوده هو يسمع فهو سامع بوجوده، والسماع والإصغاء والسكوت كلها إمكانيات وجودية تنتسب إلى الإنسان بوصفه متكلما». [12]

من هنا نستشهد أن اللغة تعبر فاعلية من فعاليات استهداف الوجود أو الأكثر تميزا و"هيدغر" في هذا المقام يرجع إلى "أرسطو" ويحاول أن ينظر لهذا الأخير كيف عبر عن اللغة وعلاقتها بالوجود.

إن عودة « "هيدغر" إلى "أرسطو" لا تستهدف فقط إعطاء مثال عن التصور الميتافيزيقي للغة التي يفهمها انطلاقا من جانبها الصوتي، بل إنها تريد في الوقت نفسه إبراز جانب أساسي في اللغة تتجلى في تأمل "أرسطو" ولقد فهم "أرسطو" اللغة في بداية التجربة الإغريقية انطلاقا من الإبانة معتبرا أنها هي ما يستند بناء اللغة وركائزه، والإبانة أو الإظهار هي جعل الشيء يظهر ويتبدى أي يأتي إلى اللاخفاء، وعليه فإنها تكمن هي بدورها في الكشف في أل Alétheia بهذه الإشارة يهيئ "هيدغر" لتأملاته ليحدد اللغة انطلاقا من الإبانة». [13]

اللغة هنا لم تعد مجرد وسيلة للتداول الصوتي بل تجلت من البداية كطريقة للكشف أو كسند لهذا الوجود المتبدي وقد اعتبرت الخاصية التي تيسر بالخفاء إلى الإظهار والتجلي.

وعليه نجد أن الكلام (اللغة بيت الوجود) وذلك من خلال « إن الإنسان بحكم وجوده يفصح عن نفسه، وهذا الإفصاح عن النفس هو اللغة ... وإن اللغة سبيل الاتصال بين الذوات الوجودية، والعلاقة بين المتحدثين هي علاقة انكشاف من الواحد للآخر، لكن هذا الانكشاف ما لبث أن يتحول من كشف للأشياء إلى الكشف للتعبير عن الأشياء ». [14]

و"هيدغر" في هذا التنظير يحاول أن يشير أن الذوات الوجودية تستند إلى اللغة ليحدث الاتصال بينها وهذا الاتصال عبارة عن حديث والحديث بدوره يمثل كانكشاف عن الذوات الوجودية.

يقر "هيدغر" أن اللغة « مهمتها هي إنارة الوجود، أي التفكير في وجود الإنسان من خلال الإنارة وهذه الأخيرة هي التي ستمكننا من النظر في ماهية الإنسان ويقول "هيدغر" أن المعرفة تتجلى من خلال اللغة، اللغة هنا ليست أداة للتوصيل اخترعها الإنسان ليعطي معنى أو التعبير عن فهمه الذاتي للأشياء، اللغة تعبر عن المعنوية القائمة بالفعل بين الأشياء». [15]

والوجود هنا مرتبط باللغة فالإنسان يتكلم لأنه موجود وهناك علاقة بين ثنائية اللغة والوجود واللغة بذلك تجسد للوجود قاعدة التجلي وعليه « لقد كانت اللغة من فعل الإنسان وبها تتميز عن الحيوان، وإذ بها تحدث أثرها في الإنسان، بحيث صار الإنسان يوجد بقدر ما يتكلم، فثم ارتباط وثيق بين القول والوجود لدى الإنسان، وبين حدوث الوجود وبين اللغة فثمة نوع من الدور، لقد صارت اللغة هي التي تعطي الوجود للأشياء والإنسان لا يوجد في العالم إلا بقدر ما يملك لغة، الإنسان مشروع ذاته ولكن هذا المشروع يخطط بقدر الذي به اللغة ليست من خلق الإنسان الذي يتكلمها بل هي أمر يتقبله، اللغة تجعل الأشياء الغائبة حاضرة، وغير الموجودة موجودة والبعيدة قريبة». [16]

هنا نجد نوع من الصلة بين اللغة والوجود والإنسان بحكم أن موجود يتكلمه ووجوده يفرض عليه الإفصاح عن نفسه وهذا الإفصاح ليس دخيل عن اللغة بل هو قد أنشأ منها وإليها وذلك للكشف عن الوجود.

ومن هنا بات اهتمام "هيدغر" باللغة واضحا، وهكذا تكون « للغة خاصية أساسية تتمثل في إحضار الوجود من التحجب إلى النور، وبهذا المعنى كذلك تكون إحدى مقتنيات الإنسان الخطيرة، لأن أي قصور في اللغة ينتج عنه قصور في الإظهار أو الإبانة والتجلي والوضوح وينتج عن ذلك عالما من المعاني مشوشا وغامضا، قد يشوه ماهية الأشياء، والأخطر من ذلك كله أنه قد يشوه ماهية الوجود، ولكن نحن نعتقد أن اللغة ملكة إنسانية تتوقف عليها كل علاقاتنا مما جعل "هيدغر" يتجه صوبها ليؤكد أن كل لغة هي إظهار لشيء (Zeigen) ولكن بوصفها أداة تستعمل للإشارة إلى الأشياء وبملاحظة متأنية ندرك أن القرب والقول الأصلي بوصفهما ماهية للغة هو ما هو عين ذاته». [17]

هنا "هيدغر" يؤكد أنه إن كان فهم اللغة غامضا يعتبر هذا قصورا والأصعب من ذلك عندما تعجز اللغة وتكون قاصرة يزداد الوجود في الخفاء ويصبح غامضا وعليه فاللغة لابد أن تكون قادرة على الفهم والخطاب لكي يتسنى لها الكشف عن الوجود والذي يتميز بالتحجب وكما يقول "هيرقليطس" "أن الوجود يعشق الانحجاب والانكشاف" ولذلك "اللغة بيت الوجود".

إن « اللغة هي مسكن الوجود الذي يقيم الإنسان في كنفه والمفكرون والشعراء هم أولائك الذين يسهرون على هذا المأوى وسهرهم هذا إنجاز لان كشافية الوجود، من حيث أنهم من خلال قولهم يحملون هذا الانكشاف إلى اللغة ويصونه داخلها ...والكلام وثراؤه الذي لا يقدر ويعاد للإنسان مسكنه ليقيم في قلب حقيقة الوجود... واللغة هي المجيء الوجود ذاته المجيء المفصح والكاتم في ذات الوقت».(18)

من هذا المقام في مقولة "هيدغر" "اللغة بيت الوجود" قرر أن يفهم الوجود بوضوح انطلاقا من اللغة التي تحجبه عن الغموض، وحاول أن يبرز أن حقيقة الوجود تتجلى باللغة والكلام كله بصريح العبارة ما هو إلا تعبير عن الوجود، لكن هنا نحاول أن نتساءل: لقد اقر "هيدغر" أن اللغة بيت الوجود فماذا عن اللغة الشعرية؟ وما علاقة "هيدغر" ب"هولدرلين"؟ وهل اللغة الشعرية لها صلة بالوجود؟.

قراءة "هيدغر" ل"هولدرلين":

لقد تحدث "هيدغر" عن اللغة ورجح بأنها الآلية الوحيدة الكاشفة عن الوجود وأن الكلام ليس بمعزل عن الوجود وتلتقي ثنائية اللغة والوجود في بنية تفاعل لكن مع ذلك نجد أن اللغة هي السمة الأساسية التي عليها يتحقق وينكشف الموجود على أنه هو وليس غيره، لكن "هيدغر" في أعماله لم ينظر للغة فقط لكونها كاشفة لأبعد الأبعاد بل وجه نظره إلى اللغة الشعرية وأقر بها أنها قوام الذي لا يمكن أن نجد غيره في تفسير الغموض.

وعليه نجد "هيدغر" يشير « الشعر لا يتلقى اللغة قط مادة يتصرف فيها كأنها معطاة له من قبل، بل الشعر هو الذي يبدأ بجعل اللغة ممكنة، الشعر هو اللغة البدائية للشعوب والأقوام، وإذن فيجب خلافا لما قد يتوهم، أن نفهم ماهية اللغة من خلال ماهية الشعر».(19)

هنا يصرح "هيدغر" أن الشعر هو المرحلة الأولى التي ترجع إليها وتنبثق عنها أي حضارة ومعاملته مع اللغة ليس كوسيلة للاطراد بل هو من يمتلكها ولذلك نجد "هيدغر" يحث أنه على المفكر أن يستعين بالشاعر.

ولذلك نجد "هيدغر" « يعتقد أن الشاعر يمكنه أن يساند الفيلسوف عندما يصبح الأخير بعيدا عن منابع الكينونة، فلا يعود يصغي لما تنبئه به الكلمات عن الأشياء بطبيعتها البدائية، أي قبل شحنها بشتى الدلالات التي تنبع من أفكارنا المسبقة عن العالم، الشعر هنا يصبح ذا أهمية تفوق في نظر "هيدغر"، أهمية التحليل الفلسفي النسقي، ولكن عودة "هيدغر" إلى الشعر لا تعني الاهتمام به من حيث كونه يخضع لأحكام جمالية، بل من حيث كونه ذا أهمية أنطولوجية في المقام الأول وإن الشعراء قادرون على تلقين الفيلسوف درسا في كيف يمكن للإنسان أن يسكن قريبا من الأرض وكيف يقارب الأشياء كما هي في ذاتها، أي على نحو يترك لها الكشف عن ذاتها بذاتها مجردة مما نضيفه عليها».(20)

من هنا ندرك أن الحقيقة الأنطولوجية تتبع في الشعر باعتباره فن ولذلك نجد "هيدغر" يقول: « إن طبيعة الفن هي الشعر، فإنه يعني بذلك أن كل فن من حيث ماهية يشارك في ماهية الشعر الذي يكون بدوره تأسيسا للحقيقة، فكل فن يكون شعرا بالمعنى الماهوي للشعر، أي ممارسة لماهية الشعر(Poetizing) باعتباره أسلوبا لإسقاط ضوء الحقيقة في شكل ... وأولوية هذا الشكل الفني لا تكمن في أنه يحفظ لنا ماهية الشعر تتجلى فيه (فأشكال الفن الأخرى تشاركه في ذلك)، وإنما تكمن في أنه يحفظ لنا ماهية الشعر ويتيح لنا أن نتعرف عليها عبر اللغة ومن خلالها، إن الشعر يحدث في اللغة لأن اللغة تحفظ الطبيعة الأصلية للشعر، وإذا كان كل فن هو شعر بالمعنى الماهوي، وإذا كانت ماهية الشعر تتحقق أو تتجلى من خلال اللغة حيث تأسيس للحقيقة وكشف للوجود ». (21)

في هذا الصدد قد اعتبر الشعر على أنه فن يحدث في اللغة وممارسته باللغة يعني كطريق لتبيان ضوء الحقيقة ومن منطلق ما صرح به لقد تحدثنا عن الشعر وكيف نظر له "هيدغر" لكن "هيدغر" قد ألهمه شاعر كبير الذي كانت أناشيده مصدر إلهام حقيقي ل"هيدغر".

وعليه نجد "هيدغر" « أخد بما ذهب إليه "هولدرلين"، أن الشعر حوار "يستطيع كل من أن يسمع الآخر"، وإمكان الكلمة يقتضي بالضرورة القدرة على الكلام والقدرة على السمع، وكلاهما يرقى إلى أصالة الكلمة ذاتها، غير أنه لا يخفي خطر الكلمة بل يعدها "أشد المقتنيات خطرا " ... ثم يفيض فيما ذكره "هولدرلين" من أن الشعر "أكثر المشاغل براءة"، وبما أن "الشعر يتبدى للناس لعبا وليس كذلك، فاللعب يقرب مابين الناس ولكن على يجعل كل واحد ينسى نفسه، أما في الشعر فالإنسان يركز ذاته على وجوده الإنساني ويصل هناك إلى

الطمأنينة، لا إلى تلك الطمأنينة المتولدة من البطالة وفراغ الفكر، بل إلى تلك الطمأنينة الصافية التي يصاحبها نشاط في جميع القوى والعلاقات ». [22]

من هنا ندرك أن الشعر يجب أن يكون مصاحب لكل العلاقات وكل الارتباطات ويكون غني الفكر ليتسنى للشاعر القدرة على الكلام وعليه « الحقيقة هي انكشاف ما هو متستر والجميل ليس ذلك الذي يعجبنا، وإنما ذلك الذي يقبع تحث قدر الحقيقة هذا الذي يحدث عندما يبلغ الشيء الغير متجلي منذ الأزل وبالتالي غير المرئي التجلي الأكثر تجليا من غيره ليس بوسعنا إلا أن نترك الكلمة الشعرية في حقيقتها في الجمال، هذا لا يستبعد بل يتضمن بأننا نفكر في الكلمة الشعرية».[23]

وهذا القول ليس بعيدا عن تصريح "هولدرلين" وهنا يلتق "هيدغر" ب"هولدرلين" بأنه كما لو كان علاقة بين الفكر والشعر ولكن عندما يكون الشعر شعرا والفكر فكرا أصيلا هنا تكمن الحقيقة وعليه « إن الشعر حينما يجاور الفكر يمنح لهذا الأخير الإنارة والقدرة على الانفتاح وكذلك الفكر يجاور الشعر و"هيدغر" الفيلسوف عندما تناول قصائد "هولدرلين" الشاعر فمن أجل أن نبين تلك العلاقة التي يجب أن تكون بين الفكر والشعر، كما أن هذه العلاقة هي في منظورنا علاقة جوار، ويريد بذلك "هيدغر" أن يفهمنا أن مصطلح "فكر" يعني عنده فكر الوجود»،[24] هنا ندرك الصلة بين "هيدغر" و"هولدرلين" كعلاقة بين الشعر والفكر ونجد "هيدغر" يختار "هولدرلين" كشاعره المفضل لأنه بالنسبة إليه "شاعرا لشاعر"[25] "هيدغر" من هذا المقام قد أوجد في اللغة الشعرية لغة الكائن الحقيقة التي نفكر بالدقة الإفصاح والكشف عن المكنون وذلك «فاللغة الأصلية إذن هي لغة الشعر، لأن الشعر وحده القادر على رفع الحجب عن الوجود، الشعر يسمح للأرض والسماء وتدفق الأعماق وقوة الأعالي بأن تتقابل وتتفاعل، وفي هذا التفاعل يتم الإظهار والإحضار»[26].

ومن هذا المنطلق نتساءل: كيف نظر "هيدغر" للغة الشعرية هل نظر إليها من مواطن الكشف والإظهار فقط؟ وهل الشاعر كالفيلسوف يقتفي آثار الحقيقة؟ وهل الفلسفة يمكن اعتبارها شعرا؟

إن الشعر « من الوجهة الأنطولوجية قائم، إذن على أن الشعراء يلقنونا درسا في كيف نقيم على الأرض وكيف نبقى بالقرب من الأرض وواعين للقوى التي تسيطر على حياتنا لأنهم يمتلكون لغة عينية ودقيقة يمكنهم بواسطتها الفيض على ماهية الظاهر، إنهم يسمون القوى المستمرة في الطبيعة والثقافة ... إنهم ليسوا فقط أكثر حضورا من معظم البشر، بل إنهم أيضا أكثر حساسية لإمكانات اللغة باعتبارها واسطة لكشف الإنسان عن ذاته ولتوكيد انتمائه إلى الواقع الطبيعي والاجتماعي»[27] أما الشعر لغة الشعراء وهي لغة واضحة أصيلة لأنها نابعة من كينونة شاعرية والشعراء يسيطرون على اللغة وذلك من أن اللغة تتكلم من خلالهم وليس العكس « الشعر هو "اللغة الأصلية" والأكثر التصاقا وحميمية بالإنسان، ولغته هي اللغة التي تروي ما نكون عليه اللغة في تراكمها وتراكمها وهي أي الشعر التسمية التأسيسية للكائن وجوهر كل الأشياء، وهو ليس قولا تعسفيا، وإنما هو الذي يبدأ بجعل اللغة ممكنة، أي ممكنة التجلي في منظوم واضح الدلالة، والهدف»،[28] وهنا نستشهد قيمة الشعر في حضور الإنسان بمعنى أنه الجوهر الذي يدرك به حقيقة ما يختلج في كينونته وفي قوله المرتهن بلغته وهنا نحاول أن نعيد التساؤل الذي قلنا عليه سلفا: هل يمكن اعتبار أن الفلسفة شعرا ؟ .

الفلسفة « ليست شعرا، ولكنها نوع من التفكير الشعري، أي التفكير الذي يتحقق في اللغة أو يحقق ماهيتها في كشف وإظهار وجود الوجود ...فإن فهم حقيقة اللغة والشعر عند "هيدغر" لا ينفصل عن فهمنا لحقيقة الفلسفة أو الفكر ...و اللغة ليست بأداة ولا بموضوع، وإنما اللغة التي تنطق شعرا وفكرا، والشعر الذي لا يكون مجرد تشكيل لغوي أو صورة جمالية تستخدم اللغة، وإنما الشعر الذي تحقق فيه ماهية اللغة من حيث هي قول».[29]

من هذا المقام نجد أن "هيدغر" فهم الفلسفة فهما رفيعا كحقيقة لا بد منها واللغة والشعر يعتبران كثنائية لإظهار حقيقة الفلسفة، ومع ذلك إن التفكير الشعري ليس بمعزل عن الفلسفة وإن صح التعبير، هو نوع من أنواع التفكير فيها.

إن الشاعر في نظر "هيدغر" «هو ذلك الكائن القلق أكثر من غيره على مصيره في عالم غريب عنه، والشاعر هو الوحيد القادر على الإفصاح عما لا يمكن تسميته "إن الشعر تسمية مؤسسة للوجود ولجوهر كل شيء، وليس مجرد قول يقال كيفما أتفق" ومنه فإن اللغة الشعرية هي مجال البحث في المتخفي حيث الأشياء تصبح كلمات، والكلمات تجمع في موقع مشترك بين الوجود والموجود».[30]

هنا "هيدغر "حاول أن يبين أن الشعر أكثر الموجودات تواجدا، وحضورا ،وتجليا ليس بالنسبة إليه فقط بل لتجلي كل من له علاقة به، والشاعر يعتبر مساند للفيلسوف لأن الحقيقة الفعلية تتم ظهر في تواجد الفلسفة والشعر اللذان يسعيان للقبض على هذه الحقيقة الوجودية

المرتهنة خلف الوجود، وكما أن الإنسان ليس بمعزل عن لغته فللغة ليست بمعزل عن الشعر إذ فيه تبرهن وجودها، وحضورها بقوة ليس كدلالة جمالية بقدر ما هي نسق أنطولوجي في مقام الأولويات.

الهوامش:

1. عبد الغني بارة، الهرمنيوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقلي تأويلي، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2008، ص207.
2. هشام معافة، التأويلية والفن عند هانس جورج غادامير، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص74.
3. عبد الغاني بارة، الهرمنيوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقلي تأويلي، المرجع نفسه، ص208.
4. إبراهيم أحمد، مقالة هيدغر وإشكالية الفهم اللغوي للوجود، ص02.
5. عبد الغاني بارة، الهرمنيوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقلي تأويلي، المرجع نفسه، ص215.
6. هشام معافة، التأويلية والفن عند هانس جورج غادامر، المرجع نفسه، ص75.
7. عمارة ناصر، اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي)، دار الفارابي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص71.
8. سعيد توفيق، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص130.
9. نصر حامد أبو زيد، مقالة الهرمنيوطيقا ومعضلة تفسير النص، ص05.
10. عمارة ناصر، اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي)، المرجع السابق، ص73.
11. مارتن هيدغر، مبدأ العلة، تر: نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، دط، دس، ص 72.
12. إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها وتطورها وأبرز أعلامها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2009، دط، ص 201.
13. مارتن هيدغر، كتابات أساسية (الطريق إلى اللغة)، المصدر السابق، ص 245.
14. إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها وتطورها وأبرز أعلامها، المرجع السابق، ص 202.
15. إبراهيم أحمد، أنطولوجيا اللغة "عند مارتن هيدغر"، المرجع السابق، ص 65.
16. إبراهيم مصطفى إبراهيم، فلسفة اللغة نشأتها وتطورها وأبرز أعلامها، المرجع السابق، ص 203.
17. إبراهيم أحمد، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدغر، المرجع السابق، ص 60.
18. مينة جلال،مقالة مارتن هيدغر في النزعة الإنسانية، عن مجلة مدارات المغربية، العدد السادس.
19. لطفي عبد البديع، الشعر واللغة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1997، ص 02.
20. عادل ظاهر، الشعر والوجوب، دار الثقافة والنشر، سوريا-دمشق، ط 1، 2000، ص 99.
21. سعيد توفيق، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المرجع السابق، ص ص 128، 129.
22. لطفي عبد البديع، الشعر واللغة، المرجع السابق، ص 03.
23. مارتن هيدغر، ماذا يعني التفكير، تر: نادية بونفقة، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، دط، سنة 2008، ص 48.
24. أحمد إبراهيم، البويزيس وآليتا العودة إلى الإغريق: إمكانية انزياح الفكر عند هيدغر، الجزائر، ص 05.
25. المرجع نفسه، ص 08.
26. المرجع نفسه، ص 09.
27. عادل ضاهر، الشعر والوجود، المرجع نفسه، ص 100.
28. عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص188.
29. سعيد توفيق، في ماهية اللغة وفلسفة التاويل، المرجع السابق، ص ص 71، 73.
30. مخلوف سيد أحمد، اللغة والمعنى (مقاربات في فلسفة اللغة)، دار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص 226.